التربية عند الصوفي المربي والمريد

سالم محمد عيبلو[1]

كلية الآداب – جامعة مصراتة

تاريخ التقديم: 01-05-2021 ، تاريخ القبول: 25-05- 2021، نشر إلكترونيا في 31-05-2021

https://doi.org/10.36602/faj/2021.n.17.11

ملخص البحث:

الصوفية حركة إنسانية وظاهرة عالمية صاحبت الإنسان وتمظهرت في مظاهر كثيرة وكان لها أشكال متعددة تأثرت باقتناعات الأشخصاص المنخرطين في سلكها وكذلك بالبيئات التي ظهرت فيها،وهذا البحث في جزئه الثاني يتناول موضوع التربية عند الصوفي المسلم، يوضح ماتميزت به كما يوضح أصولها التي استمدت منها مبررات وجودها، ومناهجها التي استخدمتها وطريقتها في الصول إلى أهدافها التي ترغب تحقيقها وهو يتناول على التحقيق دور المربي والمريد .

الكلمات المفتاحية: *التربية، المقام، المريد، الشيخ، المنهج، الخلوة*

[1] s.aiblu@art.misuratau.edu.ly

ISSN 2664-1682

The Educational Method in Sufisim

Salem Mohammed Aiblu
Faculty of Art، Misurata University

Abstract
Sufism is a universal phenomenon and in Islam it is represented in many forms, but most of them were close to the spirit of the same religion, inspired by the spiritual values to uplift the soul because it breaks the intensity of lust and elevates the value of asceticism. This research clarifies some of the features of its path by showing the means of its usages and the methods it invokes.

Keywords: *Education, Rank, Disciple, Sheikh, Approach, Retreat*

1 ـ المقدمة

هذا البحث يأتي تتمة لبحث قد سبق ونشر في صفحات هذه المجالة، تحت عنوان الصوفية تاريخ النشأة ومعنى المفهوم، وهذا بحث يتبع منهجا وصفيا استقرائيا يبحث في منهج التربية عند الصوفية فيوضح أن لهم منهجا يتبعونه، وأصولا أسسا يعتمدون عليها، وأهدافا ينشدون تحقيقها. وهو يتناول الموضوع من عدة جوانب :فيشمل هذا البحث الكلام عن طريقة التربية عند الصوفي ومصادرها،كما يتناول شخصية المربي وما يشترط فيه وما يجب أن يتميز به، والمريد وما يجب أن يتحلى به من أخلاق ويسير فيه من مقامات التي تبلغه الهدف الذي هو (مقام الوصول) .

ISSN 2664-1682

1.1 مشكلة البحث

البحث يطمح أن يعرّف بالصوفية كحركة دينية وظاهرة إنسانية تستلهم تعاليمها من نصوص الدين الاسلامي، كما يحرص أن يوضح طابعها الذي يميزها، كحركة دينية تهتم بالجانب الروحي في الشريعة إلى الجانب الظاهري التعبدي لها وقد انشغل البحث بالجوانب المهمة للظاهرة فتناول طرق التربية عندهم، وبيّن بعضا من أركانها فاقتصر هنا على ذكر: مايتعلق بالمريد والمربي. يوضح الأوصاف التي يشترطون أن يكون عليها المعنون بالتربية في طريق تحقيق أهدافهم.

2.1 فرضية البحث

يفترض البحث أن ظاهرة التصوف حركة منظمة تستلهم أفكارها من النصوص الدينية والتجربة الإنسانية، وهي حركة هدفها الإصلاح وليست حركة تدجيل أو دروشة، ولا هي حركة انهزامية كما يحاول بعض المعارضين لها أن يصنفوها، ويحاول البحث أن يثبت ذلك بما يسوقه من أخلاق اشتملوا عليها، وقواعد دعوا لها، وكذلك بإثبات ما اتسمت به التربية عندهم مسارا وهدفا.

3.1 أهداف البحث

البحث يهدف إلى التنبيه إلى التراث الصوفي وينبه إلى أهمية منهجهم في التربية وطريقتهم في الإصلاح توضيح مفهوم التربية عند الصوفية وطريقتها، والطرق والأساليب التي يستخدمونها في التربية والإصلاح وتوجيه أنظار المشتغلين بمباحث الفلسفة الأخلاقية إلى الاهتمام بالنزوع الأخلاقي للتصوف وأهمية منهج الصوفيين في إحداث التغيير عند الأفراد والمجتمعات.

ISSN 2664-1682

4.1 مصطلحات البحث

البحث اتخذ مصدرا كتب الصوفية أنفسهم، فقد رجع الباحث فيه لأهم كتبهم وأكبر مصادرهم تلك التي التزم أصحابها بظاهر الشريعة،ولم يختلط لديهم اصطلاح التصوف بالفلسفة، وقد ساق الباحث كثيرا من أقوالهم، وهي في الغالب مفهومة معروفة خاصة ما تعلق بموضوع التربية نظرا لأن موضوع التربية لم يتداخل فيه المصطح الصوفي مع الفلسفات الهندية والفارسية واليونانية تداخلا كبيرا. ويجد المهتم في بحثنا هذا كثيرا من المفاهيم التي تخصهم، وقد عملنا على أن تكون السياقات تدل على أغلب معانيها ومن هذه المصطلحات التي ذكرنا: التخلية، والتحلية وهما معروفان عند المتصوفة لمن يدرسون المنهج السلوكي كأداتين أو مرحلتين في سبيل إقدار الفرد المريد على التحكم في أخلاقه وعواطفه ومشاعره والإمساك بزمام نفسه وتغيير عوائده بواسطة (تخلية) فيها يقلع عن الأثام والعادات القبيحة، تردف (بتحلية) فيها يلتزم المريد بالطريق وآدابه. وقد ذكرنا في صلب بحثنا كثيرا من اصطلاحات الصوفية يوقف عليها فيه.

2 . التربية مفهوما صوفيا

التربية عادة ما تقترن بالتعليم والتكوين، وقد تأخذ معنى أخلاقيا، وهي أي التربية أنواع كثيرة، وموضوعنا في هذا البحث هو التربية الروحية، تلك التي تهتم بالنفس وتسعى لتهذيبها، بتوطينها باعتقادات تحولها النفس بالتربية إلى ما يشبه العادات والأخلاق، موضوعها القيم التي تجعلها التربية تسكن الوجدان فتوجه سلوك النفس الإنسانية باطمئنان ورضا ويقين؛ هي تربية التزم بها الصوفيون شيوخا ومريدون، وأسسوا لها الطرق وألفوا لها الكتب وبذلوا في سبيلها أوقاتهم، وأفنوا أعمارهم، وفائدتها وهدفها حسب تعابيرهم هو إحياء القلوب وإصلاحها، وإفرادها لله بالعبادة، وهي تربية تُجلّ القيّم الروحية وتبتعد بالإنسان قدر الإمكان عن الماديّة، وعن الشهوات الحيوانية، تحي الزهد في النفوس، والرضا والاطمئنان في القلوب، فلا تتعلق النفس إلا بما هو سام وطاهر. وهدفها الأسمى مقام الوصول (السهراوردي 1990، ص: 303).

ISSN 2664-1682

قال الشعراني (2000، ص: 56) "ومعلوم أنّ مقصود القوم القرب من حضرة الله الخالصة، ومجالسته فيها من غير حساب". والتزام الطريقة في نظرهم وحسب اعتقادهم، وتسمياتهم تقرب من الخالق قربا يؤثر على السلوك والاختيار، فكان والحالة هذه لا بد لها من وسائل تتوسط بها، ومناهج وطرقا تتوسل بها. ومعلوم أن الوعي بالهدف ومعرفة الطريق مفيد لكل صاحب هدف يساعد كل متعلم، مهم لصاحب كل مبدأ ناجع لكلّ مصلح. ودلالة وعيّهم بأهدافهم ومناهجهم تتضح لمن اقترب من أعمالهم، وتمعّن في آدابهم وتراثهم فقد صرحوا وهم ينظرون لطريقتهم بأنه لابد للعارف من معرفة، ولابد له من عبادة ورياضة. وقالوا: ولا فراغ للعبادة إلا بزهد، ولا زهد إلا بمعرفة . فنلاحظ هنا أن الوعي بالتربية حاضر في مقارباتهم، فهم واعون بالهدف والطريقة معا.وقد وضحوا أن أول الطريق: معرفة الله. وقد كانوا يرون أن العلم به تعالى هو أفضل العلوم وأجلها (زروق، 1986، ص: 8). لذلك اهتموا في تربيتهم بالأصل الأول، وإن لم يقتصروا عليه فالإيمان الذي يمثل العقيدة حاضر في تنظيرهم، وهو جانب مهم وأساس في طريقتهم، وهو من الأصول التي تقوم عليها شرائع الإسلام وعنها تنبثق فروعه، فهم متسقون مع مبادئ الإسلام و يرون أن الإيمان بوجود الخالق نقطة انطلاق مهمة، و له أثر طيب على النفوس ونفع واضح ظاهر في حياة الأفراد والجماعات فالإيمان بالله ومعرفته يحيّ الأخلاق النبيلة في النفس، يفجر المشاعر الرائعة في القلوب ويوقظ في النفس حواس الخير،ويربي عند المؤمن ملكة المراقبة ويبعث على طلب معالي الأمور وأشرفها. و العقيدة السليمة والإيمان الصحيح ينآيان بالمرء عن محقرات الأعمال وسفاسفها، كما يعطي الإيمان معنا للعدل والقيّم بشكل عام (السيد سابق، 1982، ص:9). لقد اهتم الصوفيون بالنزوع الأخلاقي في منهجهم فاقترحوا منهج سلوكي في سبيل أقدار المريد على الإمساك بزمام أمره وتوجيه سلوكه والتغيير من عوائده من خلال منهج يعتمد التخلية أولا والتحلية ثانيا ويعين القاصد في الطريق بمقاربات وآداب

ISSN 2664-1682

حتى يصل المقام المحمود .لذلك وغيره اعتبر الصوفيون القلب كالمرآة الذي لا تتضح فيها الأشياء إلا بتصقيله، وتنويره وتعديله. وتصقيله عندهم يتم بإزالة خبث الشهوات، وكدورة الأخلاق الذميمة،وأما تنويره فبأنوار الذكر والمعرفة، وأمّا تعديله فيتم بالسيطرة على الجوارح (الغزالي، 1980، ص: 91). وكان الحكيم الترمذي يعتبر القلب أمير الجوارح، والجوارح أركانه، وهو أي القلب في تصوره موضع المعرفة والعلم بالله. كما أنه يعدّه معدن النور، ومستقر التوحيد، وموضع الطاعة، وكان يرى أن الصدر موضع التدبير والفكر، وحارس القلب والفكر، ومعدن الشهوات والأفراح (الترمذي، 2002 ، ص: 34).

والصوفية في أغلب أحوالها عند المسلمين، تتحرك من داخل الدّين، وهو أي الدّين مبدأ إنساني اختاره الله للعباد فاكتسب وهذه حاله أهمية مطلقة وهو أي الدين يشتمل على ثلاثة جوانب ذكرها الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني في كتابه القيّم العقيدة الإسلامية وأسسها و هي:

1. فلسفة علمية، تهيمن على جوانب التفكير عند الإنسان، ويمثلها الجانب النظري الاعتقادي، هذه الفلسفة العلمية تكوّن أساس الدّين وهي تشمل الفكرة عن الخالق والكون والحياة، تتحول بتدرج في مواضع الإدراك إلى عقائد راسخة يعين عليها استعداد عقلي،وقبول نفسي، وتربية واتباع باقتناع وهو ما يعرف تحت مصطلح الإيمان.

2. الجانب الثاني هو العملي التعبديّ في الإسلام وهو المظاهر السلوكية التي ترتبط بالأسس الموجهة، تشمل كل طقوس العبادة، كما تشمل كل الأقوال، والأفعال، والعادات، والتقاليد فتكون على وفق الاعتقاد .

3. والجانب الثالث: هو النتائج المرجوة من الجمع بين التنظير والتطبيق وهي الهدف المنشود من اعتناق الدّين، فيحدث عند المؤمن إيمان تطمئن إليه النفس، وعبادة يلتزمها تقوي إيمانه وتجدده، وسعادة يجتنيها من رضي النفس (الميداني 2010، 68).

ISSN 2664-1682

وهذه الجوانب الثلاثة معتبرة عند الصوفيين، لأن أغلب المتصوفة من المسلمين لم يعرفوا التصوف من خارج الدّين وهي ميزة لا تنكر، وخاصية ميزت التصوف الإسلامي عن غيره وهم أعني المتصوفين من المسلمين وإن كانوا قد استفادوا من أفكار جاءت من خارج الدّين إلا أن التزامهم الدّين وظاهر الشريعة يظل السمة البارزة لأشهر أساتذتهم وشيوخهم وما شذ عن هذه القاعدة إلا القليل، لذلك نجدهم قد اهتموا اهتماما خاصا بالجانب النظري للدين فاهتموا بالاعتقاد لما رأوا أن له أثرا بينا مستمرا، قال محي الدين بن عربي في الفتوحات المكية "يا أيها السيد الكريم حافظ على أحكام شريعتك، واجعل ملكَك خادما لها ولا تعكس فيعكس عليك" (الميداني، 2015، ج، 1، ص: 387). ونقل في خلوة العاكفين وقال أبو القاسم: باتباع السنة تنال المعرفة، وبأداء الفرائض تنال القربة، وبالمواظبة على النوافل تُنال المحبة (الطبري، 2013 ص:77). فمدار أمرهم على الاتباع. وقال في حقائق أنفاس العارفين الخَواص "ومن حقائق أنفسهم عدم المراءة، وحفظ آداب الشريعة دقيقها وجليلها. وقال ومن حقائق أنفسهم أن يختاروا لأنفسهم ما اختار الله لهم في كتابه وعلى لسان رسوله ومن فعل غير ذلك فقد آثر هواه على نفسه" (الابشيهي 2015 .ص: 38). وقال السراج الطوسي في كتابه اللّمع: (ولمشائخنا في التوحيد مصنفات) (ص 34) .وخصص الطوسي بابا في كتابه اللّمع سمّاه: باب التوحيد وصفة الموحد وحقيقته وكلامهم في معنى ذلك، وذكر نتفا من أخبارهم ومقالاتهم . ووضح أن لهم عبارات تخصهم وطريقة في الكلام يتبعونها، وساق كلاما للجنيد، والشبلي وغيرهم ؛ وقال إن بعضا من المتصوفة لهم في التعبير مذاهب أخرى لا تخفى على من يكون أهله، قال فإذا شرحت يخفى ويذهب رونقها. وساق بعضا من كلامهم وشرح بعضه (الطوسي، ص: 29). وهذا القشيري رحمه الله وهو أحد المنظرين لظاهرة الصوفية كان قد عقد بابا في رسالته يبين فيه اعتقاد طائفة الصوفية فقال: "اعلموا رحمكم الله أن شيوخ هذه الطائفة بنَوا قواعدَ أمرِهم على أصول

ISSN 2664-1682

صحيحة في التوحيد صانوا بها عقائدهم من البدع ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل، وعرفوا ما هو حق القدم وتحققوا بما هو نعت الموجود عن العدم" (القشيري، 1987 ص: 4). وكان السهرودي قد عقد بابا للأدب بيّن فيه مكانه الأدب في التصوف،وفيه نقل قول الجلال البصري وكان قد قال : " التوحيد يوجب الإيمان،فمن لا إيمان له لا توحيد له، والإيمان يوجب الشريعة فمن لا شريعة له لا إيمان له ولا توحيد له والشريعة توجب الأدب فمن لا أدب له لا شريعة له، ولا إيمان له ولا توحيد له" (السهروردي،1999،ص 166). فيكون الأيمان عندهم كما هو عند أصحاب الظاهر والشريعة هو أُس الظاهرة وقاعدتها. واهتم الجيلاني الشيخ عبد القادر بالعقيدة وله فيها تأليفات خاصة وحزباه الكبير والصغير مثالان مهمان يعرفهما أهل التصوف.

ولأهمية الموضوع وكونه من الأصول المؤسسة، بدأ الشعراني (2000) كتابه الأنوار القدسية بمقدمة تشتمل على عقائد القوم، فقال:

> اعلم يا أخي أن القوم اجتمعوا على أن الله تعالى إله واحد لا ثاني له منزه عن الصاحبة والولد، مالك لاشريك له، ملِك لا وزير له، صانع لامدبر معه،موجود بذاته من غير افتقار إلى موجد يوجده، بل كل موجود مفتقر إليه في وجوده ...وقال : وهو تعالى موجود بذاته، لا افتتاح لوجودهن ولا نهاية لبقائه، بل وجوده مطلق، مستمر قائم بنفسه، ليس بجوهر فيقدّر له المكان ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ،ولا بجسم فتكون له الجهة والتلقاء مقدس عن الجهات والأقطار ... الخ. وأتم قوله وكما شهدنا لله تعالى بالوحدانية نشهد لسيّدنا محمد بالرسالة إلى جميع الناس كافة، ... ونؤمن بكل ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم مما علمنا ومما لم نعلم (ص ص: 40-47)

ISSN 2664-1682

ثم ذكر من أنواع ماعلموا وآمنوا به إيمانا لا ريب فيه ولا شك: سؤال منكر ونكير في القبر، وأن عذاب القبر حق، والبعث من القبور حق، العرض على الله ،والحوض، والميزان ،وتطاير الصحف، والصراط، والجنة والنار كلها حق ... وأن شفاعة الأنبياء والملائكة وصالحي المؤمنين كلها حق. فوضح بما ذكر أن عقيدتهم موافقة لأهل السنة والجماعة وقال عنها في كتابه الأنوار القدسية " فهذه عقيدة القوم رضي الله عنهم أجمعين وهي عقيدتنا عليها حيينا وعليها نموت" .(الشعراني، 2000 ص ص : 40-47).

1.2 تصورهم للتربية أركانها ومراحلها.

وهم قد اهتموا اهتماما خاصا بكل نواحي التربية، فجعلوا للتربية منازل هي هدفهم يحققونها بالترقي وأدوات يستخدمونها واكتشفوا آدابا أشاروا إليها وأخرى سنوها حين رأوا أنها تفيد في التربية وتُعين على تجاوز لمراحل بغية الوصول . قال الترمذي في كتابه منازل القربة: "أول منازل القربة الإيمان بالله" (الترمذي، 2002 ،ص: 45). وقال: "رحم الله من بلغ عني هذا: (حرامٌ على قلوبكم الوصولُ إلى منازل القربة حتى تؤدوا الفرائض على ما وُصفتْ، ثم حرامٌ على قلوبكم بعد ذلك درجاتُ الوسائل حتى تُميتوا مشيئاتكم لمشيئته، ثم حرام على قلوبكم بعد ذلك الدرجةُ العظمى في ملك الملك بين يديه حتى ينقطع عن قلوبكم مشيئةُ الوصول إليه" (المصدر السابق ص:49). فيكون هكذا أشار للدرجات وبين أهمية الالتزام بظاهر الشريعة. وقد أفرد لهم الشعراني كتابا أسماه اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر ناقش فيه عباراتهم، ودافع عنهم وخصص لهم الباب الثالث من الكتاب فبين أن أشد الناس عداوة لأصحاب علوم الوهب الإلهي في كل زمان أهلُ الجدل بلا أدب فهم لهم من أشد المنكرين ولما عرف العارفون ذلك عدلوا إلى الإشارات (الشعراني، 2007 ص: 21). ونظرة في كتبهم، وقراءة في تراثهم توضح أن من أهدافهم الرقي بالنفس الإنسانية

ISSN 2664-1682

وتزكيتها بمداواتها من الآفات الفطرية و العارضة، لتجعل الإنسان شبيها في مسلكه وأخلاقه بمسلك الملائكة، فيترك الشهوة ويكسر النفس ويبتعد عن مشابهة البهيمة . ويلاحظ أيضا أن القيّم التي دعوا إليها كثيرة منها ما يرجع إلى الأخلاق وهي الصبر والرضا والشكر والحياء والصدق والايثار والتواضع والفتوة والانبساط، ومن القيم ما يرجع للمعاملات وهي الصبر والمراقبة والحرمة والتهذيب والاستقامة والتوكل والتفويض والثقة والتسليم، ذكر جلّ ذلك الكيشاني في كتابه اصطلاحات الصوفية (الكيشاني 1971 ص 392). وقد ذكر الشعراني في كتابه القيّم الأنوار القدسية أركان الطريق فذكر أنها أربعة أشياء: الجوع، والعزلة، والسهر، وقلّة الكلام. ومع هذه الآركان يلاحظ القارئ أنهم ركزا واهتموا بباب الأدب، فقالوا يجب أن يعتنق المريد الأدب على الدوام، يقصدون الأدب مع الله والإخوان فلا يسامح نفسه قط في سوء الأدب. قال أبو علي االدقاق: يصل العبد بعبادته إلى الجنة، ولا يصل إلى حضرة ربه إلا بالأدب في العبادة، ومن لم يراع الأدب في عبادته فهو محجوب عن ربّه بسبعين ألف حجاب. وذُكر من جملة أدب أبي علي الدقاق أنه كان لايستند إلى شيء قط من مخدة أو جدار إلا لضرورة . ولهم في ذلك آداب كثيرة. (السهروردي، 1999، ص166). وفي السطور التالية سنتاول عناصر التربية عندهم فنذكر ما اختصت به تربيتهم وما اتسمت به مناهجهم ونخصص هذا البحث الثاني بالمريد والشيخ ونرجي الحديث عن المنهج في فصل ثالث نسأل الله أن يجعل له طريقا للنشر فينشر.

3 . من أركان التربية الصوفية (المريد) و (المربي)

1.3 المريد:

لقد اهتم من ألّفوا في الصوفية وطرقها وأحوالها بالمريد وشروطه وأوصافه وآدابه ورأوا أن أدب المريدين مع الشيوخ عند الصوفية من أهم الركائز في مجال التربية الروحية، قال

ISSN 2664-1682

في عوارف المعارف: ولهم في ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم (السهروردي ، 1999ص، 235). وكان الشعراني قد خصص فصلا تاما من كتابه الأنوار القدسية في قواعد الصوفية، سماه آداب المريد، استغرق الباب كثيرا من جملة كتابه، وذكر فيه أوصافا كثيرة وأخلاقا وتوجيهات عديدة طلب من المريد أن يلتزمها، وقد شملت معظم الأحوال، فتناولت مرحلة ما قبل الطلب، وبعده، ووقت الطلب، و شملت ما يجب أن تكون عليه العلاقة مع الأقران والشيوخ والناس عامة والحيوان، وكيفية التعامل واللباس والمشي والجلوس والطلب، كما ذكر آدابا أخرى كثيرة، ومن جملة ما اشترط الشعراني ابتداء للمريد الصدق في النية ومحبة الطريق (الشعراني 2000، ص 77). قال في حقائق أنفاس العارفين الخواص: "ومن حقائق أنفسهم الأدب مع مشائخهم، وترك الاعتراض إلا أن يكون من كبير لصغير فإنه تأديب" (الأبشيهي، (2015، ص 39). وكان من شيوخ الصوفية من يقصر العلم أعني : (علم التصوف) على أناس مخصوصين، يرون أن لهم استعدادا فطريا وقد كان الثوري وغيره يصرحون بأنه لا يبذل إلا لأهله؛ أمّا الجنيد فقد ذكر الشيخ أحمد زروق بأنه صرح بأنه يبذل لأهله ولغير أهله، يريد أن لا يُحرم من هو أهل له ؛ و قال الجنيد: العلم أحمى من أن يصل إلى غير أهله (زروق 1968، 10). وقال في حقائق أنفاس العرفين: "ومن حقائق أنفاسهم: يعينون على أسباب البر،ويغيثون الملهوف، ويرشدون الضال، ويعلمون الجاهل، وينبهون الغافل، ولا يتخذون الحجاب ولا حُجابا، وكل من طلبهم وجدهم، وكل من أرادهم وصل إليهم لا يستترون على أحد، ولا يقولون لطالبهم (ارجع) من ساعة إلى أخرى ولا يمنعون سائلا" (الابشيهي 2015ص 41). وبعضهم كان أكثر دقة وأكثر حزما، فجعل الخلو من المشاغل والأعراض عن المتع والملذات حتى المشروع منها طريقا لبلوغ مرتبة الخلوص، وهم في ذلك يتفقون مع ما عرف بالرهبانية في المسيحية، فقد ترك بشر بن الحارث الزواج، وأيده الغزالي الذي قال ينبغي للمريد أن لا

ISSN 2664-1682

يشغب نفسه بالتزويج،فإنه يشغله عن السلوك، ويأنس بالزوجة، ومن أنس بغير الله شغل عن الله تعالى . انظر التصوف الإسلامي (شعبان عبد الحكيم محمد 2016 ص: 43). وقال أبو علي ابن الكاتب : إذا انقطع المريد إلى الله تعالى بكليته أول ما يفيده الله تعالى الاستغناء به عمن سواه .(الطوسي 2001، 188). فيكون هكذا قد أعطى الانقطاع أهمية خاصة . قال في الأنوار القدسية، ومن شأنه يعني المريد إن دخل في الطريق وهو متزوج ألا يطلق، أو عازب ألا يتزوج، إلا بإذن الشيخ،، وذلك لأن طريق القوم ليست بالرهبانية، ولا بأكل الشعير غير منخول، ،إنما الطريق حفظ المريد أوقاته عن الضياع في اللهو والغفلة، وعدم الملل من العبادات، فإن طريق القوم جهاد لا صلح فيه . (الشعراني 2007، ص: 170). فوضح بما قال الهدف من التربية وطريقتها. وكان السراج الطوسي قد خصّ بابا في كتابه ذكر فيه آداب المريدين والمبتدئين فقال: الحكمة جند من جنود الله يقوي بها آداب المريدين. قال أبو سعيد الخراز من أدب المريد وعلامة صدق إرادته، أن يكون الغالب عليه الرقة والشفقة والتلطف، والبذل واحتمال المكاره كلها عن عبيده وعن خلقه حتى يكون لعبيده أرضا يسعون عليها، ويكون للشيخ كالابن البار وللصبي كالأب الشفيق ويكون مع جميع الخلق على هذا يتشكى لشكواهم ويغتم لمصائبهم ويصبر على آذاهم. (الطوسي 2001، ص 188). وسئل يوسف بن الحسين عن علامة المريد فقال: "ترك كل خليط لا يريد ما يريد، وأن يسلم منه عدوه كما يسلم منه صديقه،ووجدانه في القرآن كل ما يريد، واستعمال ما يعلم، وتعلم ما لا يعلم، وترك الخوض فيما لا يعنيه، وشدة الحرص على النجاة من الوعيد مع الرغبة في الوعد،والتشاغل بنفسه عن غيره" (المصدر السابق، ص: 189). وخصص النفري في كتابه المواقف موقفا للأدب بدأه بقوله: "أوقفني في باب الأدب وقال لي: طلبك مني وأنت لا تراني عبادة، وطلبك مني وأنت تراني استهزاء" (النفري 1934ص: 16). وقال السهروردي وكان قد خصص بابا في أدب

ISSN 2664-1682

المريد مع الشيخ: من الأدب أن يكون المريد مسلوب الاختيار مع الشيخ لا يتصرف في نفسه وماله إلا بمراجعة الشيخ وأمره وكان قد نهى عن المشي أمام الشيخ، والتسرع في الإفتاء قبله، و نهى عن إكثار الحديث ولو كان حسنا بحضرته. وكان في كل مر ة يسرد قصة أو حديثا شريفا يؤيد به موقفه وفكرته. وطلب من المريد أن ينتظر دون سؤال وكان قد أنزل الشيوخ منزلة رفيعة وطلب من المريدين احترامهم والتزام الصمت بحضرتهم، وهو وإن شبههم بملوك السلطة والمال وأصحاب السلطان، فلم يشبههم بغير الرموز الدينية كرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال: إن الشيخ للمريدين أمين الإلهام كما أن جبريل أمين الوحي. (السهروردي، 1999، ص: 263). قال السهروردي فأحسن أدب المريد من الشيخ السكوت والخمود والجمود حتى يبادئه الشيخ بما له فيه من الصلاح قولا وفعلا. (المصدر السابق ص: 263). قال الشعراني في كتابه الأنوار القدسية: من شأن المريد أن يصدق في محبة الشيخ قال: "ومحك الصدق في محبة الشيخ ألا يصرفه عنه صارف، ولا ترده السيوف والمتالف" (ص : 78). وقال : وينبغي للمريد أن لا يحدث نفسه بطلب منزلة فوق منزلة الشيخ،وأن يحب للشيخ كل منزلة عالية، ويتمنى للشيخ عزيز المنح وغرائب المواهب، قال وبهذا يظهر جوهر المريد في حسن الإرادة، ثم لما بدا له صعوبة ما طلب وصعوبة تحققه واقعا في الناس قال السهروردي في كتابه عوارف المعارف: "وهذا يعز في المريدين" (ص236). ثم أعاد التنبيه على الآداب وجعل منها خفض الصوت عند الحديث، فطلب من المريد أن لا ينبسط برفع الصوت وكثرة الضحك وكثرة الكلام، ووضح أن رفع الصوت ينزع جلباب الوقار، والوقار إذا سكن القلب عقل اللسان ما يقول وتمثل أيضا بقول ابن عطاء وكان قد فسر قوله تعالى (لا ترفعوا أصواتكم) قال "هو زجر عن الأدنى لئلا يتخطى أحد إلى ما فوقه من ترك الحرمة" (المصدر السابق، ص237).

ISSN 2664-1682

ومن الآداب التي نبهوا إليها عدم التهجم على الشيخ والإقدام في الدخول عليه وإسقاط الكلفة، وكذلك عدم الاستعجال على الشيخ وصبر المريد إلى أن يخرج الشيخ من موضع خلوته، وإذا أراد المريد أن يكلم الشيخ في أمر من أمور الدين أو الدنيا عليه ألا يستعجل بالإقدام علي مكالمته والهجوم عليه حتى يعلم أن الشيخ مستعد لسماع كلامه . وكانوا يعدون قلة الكلام من أحد أركان الرياضة،كان بشر بن الحارث يقول : إذا أعجبك الكلام فاسكت، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حجرا في فيه حتى لا يتكلم، فيكون هكذا للمسألة أصل إذ عمل بها الصاحبي الصديق رضي لله عنه. (الشعراني، 2007 ، ص 82). واهتم المحاسبي في كتابه الرعاية لحقوق الله بحسن الاستماع وحضور الذهن،والتخلص من المشاغل، فكان السماع من المسائل التي بدأ بها كتابه ،وجعله حقا مُهما من حقوق الله ومطلوبا، ووضح إن إشهاد القلب هو أن يستمع المستمع ولا يحدث نفسه بشيء غير ما يستمع له وساق كلام وهب بن منبه وكان قال : من أدب الاستماع : سكون الجوارح، وغض البصر، والإصغاء بالسمع،وحضور العقل، والعزم على العمل، وذلك هو الاستماع كما نقل كلام سفيان بن عيينه، وكان يرى أن أول العلم الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل ثم النشر. (المحاسبي : 28). وخصص الغزالي لشره الكلام فصلا في كتابه الأربعين في أصول الدين، ونبه إلى ضرورة قطعه والتخلص من الثرثرة قال: "وذلك لابد من قطعه فإن الجوارح كلها تؤثر أعمالها في القلب ولكن اللسان أخص به" وساق أحاديثا وقصصا تؤيد ما ذهب إليه، ثم عقد فصلا ذكر فيه أنه ألّف مؤلفا خاصا في آفات اللسان، والتي منها: الكذب والغيبة، والممارات والمدح والمزاح (الغزالي 1980، ص 109). وبين أن الإنسان إذا ترك ما لا يعنيه قلّ كلامه جدا، ولم يجعل الموضوع بلا علامات ولا إشارات،فقال وحد ما لا يعني مُنظرا: هو الذي إذا تُرك لم يفت به ثواب، ولم تنتجز به ضرورة (المصدر السابق). ونقل في خلوة العاكفين: أن صمت العوام بلسانهم،

ISSN 2664-1682

وصمت العارفين بقلوبهم، وصمت المحبين بخواطر أسرارهم (الطبري، 2013، ص3). فاتضح من خلال عرضهم أن هدفهم تربوي وأن طريقتهم تأديبية تأخذ الإنسان برفق، تبصره بأماكن العطب ومصادر الآفات (الغزالي، 1980ص: 110).

ومن آداب المريد التي أشار إليها السهروردي عدم الإلحاح على الشيخ في الجواب، أو معارضته، وذكر أن من أقوالهم من قال لشيخه كلمة: (لا) لا يفلح أبدا. وساق قصصا كثيرة تؤيد رأيه وتقويه: (السهروردي، 1999،ص237)، فظهر أن القصة من وسائلهم وقد أفردنا لدورها مزيد بيان في الجزء الثالث من هذا البحث الذي يعالج التربية عند الصوفي. ومن الآداب التي يجب أن يتحلى بها المريد: أن لا يَستر المريد عن شيخه شيئا مما يقع له من الوقائع والكشوف. وفي الجملة يظل الشيخ المربي في نظر السهروردي معلما وقدوة، ولذلك ختم السهروردي الباب الحادي والخمسين في آداب المريد من الشيخ بحديث رسول الله صلى الله عليه وعلى أله وسلم: (ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه) (السهروردي 1999، ص:240). كما نبهوا على أن يكون للمريد شيخا واحدا فلا يجعل له قط شيخين، وقد ساق الشعراني قول الشيخ محيي الدين بن عربي في الفتوحات المكية تقوية لرأيه وتأكيدا له وهو: "اعلم أنه لا يجوز لمريد أن يتخذ له إلا شيخا واحدا، لأن ذلك أعون له في الطريق وما رأينا مريدا قط أفلح على يد شيخين غير متعاقبين....." (الشعراني، 2007، ص93). وفي الجملة قال في الأنوار القدسية وهو ينبه إلى الأخلاق التي يجب أن يتحلى بها المريد متمما ما ذكره جامعا له: (ألا يكون عنده حسد ولا غيبة، ولا بغي، ولا مخادعة، ولا مكابرة ولا مماراة، ولا ممالقة، ولا مكاذبة، ولا مصاقبة ولا كبر، ولا عجب، ولا ترفه، ولا افتخار، ولا شطح، ولا حظوظ نفس، ولا تصدر في المجلس، ولا رؤية نفس على أحد من المسلمين، ولا جدال ولا امتحان، ولا تنقيص لأحد من أهل الطريق، ولا من تزيق بالزيق. قال ومن ادعى الصدق في الإرادة،

ISSN 2664-1682

وعنده خصلة واحدة مما ذكرنا، فهو غير صادق، ولا يجيء منه شيء في الطريق، لأن هذه الصفات توقف صاحبها عن السير، بل تطرده عن حضرة الله عز وجل إلى حضرة الشياطين لأنها صفاتهم (الشعراني، 2000، ص 152). وجعلوا للمريد رتبا فقالوا: المريد أولا يسمع، وثانيا يفهم، وثالثا يعلم، ورابعا يشهد، وخامسا يعرف. وذكر الكاشاني في قاموس اصطلاحات الصوفية المقامات فجعلها في عشرة أقسام، حاول أن يربط بينها، وجعل بين كل قسم وقسم مناسبة وابتدأ بذكر البدايات وهي: اليقظة، والتوبة، والمحاسبة، والانابة، والتفكر، والتذكر، والاعتصام، والفرار، والرّياضة، والسماع (ص145). وجعل منها للأبواب : الحزن، والخوف، والاشفاق، والخشوع، والاخباث، والزهد، والورع، والتّبتّل، والرّجاء، والرغبة (ص167)، وجعل منها للمعاملات الرعاية، والمراقبة، والحرمة، والإخلاص، والتهذيب، والاستقامة، والتوكل، والتفويض، والثقة، والتسليم (ص 189). وجعل منها قسما خاصا بالأخلاق فذكر: الصبر والرضا والشكر والحياء، والصدق والايثار والخُلق ولتواضع والفتوة، والانبساط (ص 211) . وجعل منها للأصول : القصد، والعزم والارادة، والأدب، واليقين، والإنس، والذكر، والقر، والغنى،ومقام المراد (ص233). وقال إذا انتقل إلى مقام العمل وغيبه بدأ بالسير في الأودية، والترقّي إلى عالم القدس،وقصد النزول بالوادي المقدّس فأول منازله الإحسان ثم ذكر العلم والحكمة والبصيرة والفراسة والتعظيم، والإلهام، والسكينة والطمأنينة والهمة (ص 255) . ثم ذكر قسم الأحوال فذكر فيه المحبة، والغيرة،والشوق، والقلق، والعطش، والوجد والدهش، والهيمان، والبرق، والذوق. (ص 277). أما في قسم الولايات فقد ذكر: اللحظ، والوقت، والصفاء، والسرور، والسرّ، والنفس والغربة، والغرق، والغيبة، والتمكن. وبعده ذكر قسم الحقائق فجعل فيه المكاشفة، والمشاهدة والمعاينة، والحيوة وعرفها بالتجلي الوجداني،والقبض، والبسط، والسّكر، والصّحو، والاتّصال، والانفصال (ص319).

ISSN 2664-1682

أما قسم النهايات فقد جعلها في المعرفة، والفناء، والبقاء، والتحقيق، والتلبيس، والوجود، والتجريد، والتّفريد، والجمع، والتوحيد. (ص339). ومن هذا يلاحظ أنه كغيره من المصنفين يخلط بين الأدوات و المقامات ووضح أن المريد ينتقل من الأحوال إلى الولايات و من المقامات القلبية إلى السريّة (ص 302).

3. 2 ـ المربي:

للتربية مريد هو الأساس وصفاته كما وضحنا، ومُرب صادق، عارف يساعد المريد، ومنهج يلتزم متى اجتمعت نجحت في الغالب التربية وتحقق الهدف، وكنا قد ذكرنا بعضا مما يجب أن يكون عليه المريد أما الشيخ المربي ،وهو الركيزة الثانية في العملية التربوية، فقد اهتم به هو الآخر جلُ المنظرين للتربية الروحية، فوضحوا وبيّنوا أهميته وضرورته، وكانوا قد اشترطوا للأخذ شروطا عينوها وصرحوا بأنه لابد منه وأنه لا يؤخذ إلّا عمن توفرت فيه شروط عيّنوها، وحاز مجموع صفات خاصة بينوها، فمن جملة ما أشاروا إليه أنه لابد لتتم العملية عندهم من مرشد، شيخ يأخذ بيد المريد، فلا يصل المريد بنفسه بل لابد له من شيخ يأخذ بيده، يصاحبه حتى يصل، ويعاونه حتى يذوق . فالعلوم عندهم لابد فيها من التلقين، وهو لا يؤخذ أي العلم إلا من قلب نقي تقي، فالقلب عند الجيلاني مثلا لا يحي إلا إذا أخذ بذر التوحيد من قلب حي فيكون بدرا كاملا وهو يرى : أن البذر غير البالغ لا يُنبت وهو يرى أن التلقين بدأ من جبريل لرسول الله ومنه لعلي بن أبي طالب ثم لقّن الصحابة جميعا (الجيلاني 2008، ص99). فاستعار الجيني في مقاربته من المحسوس ليوضح المعقول بمقارنة البذرة بالفكرة. وقال في مناسبة أخرى: "إن التربية لابد فيها من المناسبة، فالمبتدئ الذي لا مناسبة بينه وبين الله ورسوله يحتاج الولي أولا،وذلك لأن البشرية تجمع بين المبتدئ والولي فكلاهما ينتميان لنفس الفئة ولو باختلاف يسير لا يضير في الأخذ

ISSN 2664-1682

والتعلم". قال الجيلاني (2008) وقد كان ذلك عندما أخذ الصحابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن لما مات الرسول صلى الله عليه وسلم احتاج الناس للولي، وبين أن بموته ينقطع كل أثر له فلا يصل أحد منهم إلى الإرشاد إلى المقصود. ويبدو أن هذه الفكرة، فكرة الواسطة و الولي لا تخلو ممن يعارضها أو هي صعبة التصور أو التصديق، فقال الشيخ وهو يوضحها: فافهم إن كنت من أهل الفهم، وإن لم تكن من أهله يعني الفهم فاطلب الفهم بالرياضة. فهو هنا يؤكد على قيمة المربي المرشد و الإذعان له، ويوضح أن الإذعان للمربي وسماع نصائحه وأخذ التلقين منه هو رتبة تحتاج إلى تربية ورياضة حتى تدرك،وإلى جهد حتى يستأنس المريد لها ويقتنع بها .فعلى رأيه المناسبة بين المريد والولي حاضرة فهي جسمانية وروحانية، والولي يتوالى إليه مدد الولاية النبوية من النبي صلى الله عليه وسلم ويتعرف بها الناس (الجيلاني 2008، ص 197). وكان القشيري يقول: الخير كل الخير في العكوف على عتبه الشيخ (الشعراني 2000، ص 99).

وقد ذكر الشعراني أهمية التلقين وذكر أن الطريقة جاءت به، قال هو ثابت عن رسول الله فقد لقّن عليا، ولقّن علي الحسن البصريّ ولقّن الحسن حبيبا العجمي ولقّن العجميّ داوود الطائي ولقّن الطائي معروفا الكرخيّ، ولقّن الكرخي السريّ السقطيّ، ولقّن السقطيّ الجنيد، والجنيد لقّن القاضيّ رويم، ورويم لقّن الشيرازي، ولم يترك الشعراني السلسلة حتى أوصلها إلى نفسه وكان قد توفي سنة 973 هجرية و قال رحمه الله : إن سندَ التلقين ولبس الخرقة كان السلف يتداولونهما فيما بينهم من غير ثبوت طريق المحدثين (الشعراني 2008، ص ص 52-53). ولما أن ذكر الشعراني آداب الذكر وهو يكاد يكون أول المقامات ويقع في بداية الطريق قال على المريد "أن يستمد عند شروعه في الذكر بهمّة شيخه، بأن يشخصه بين عينيه، ويستمد من همته، ليكون رفيقه في السير" (المصدر السابق، ص 58). وقال أيضا: "على المريد أن يرى استمداده من الشيخ هو استمداده

ISSN 2664-1682

حقيقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه واسطة بينه وبينه" الأنوار القدسية: (المصدر السابق، ص58). وخصص السهروردي صاحب عوارف العوارف فصلا في آداب الشيخ، وما يعتمده مع الأصحاب والتلاميذ فقال "على الشيخ أن لا يسعى أو يتساهل في جمع المريدين حوله بلطف القول وحسن الكلام، ويجدر به أن يخشى الاستدراج إذا كثر الناس حوله، وقال إن حب الشهرة وإقبال الناس على الشخص مجبول عليه الإنسان ويسعد به بفطرة، وفي الخمول السلامة" (السهروردي، 1999، ص243). ثم بين أن الشيخ يجدر به ويحسن أن يظهر حدبا واهتماما بالمريدين، وأن يراعي الفروق بينهم في الفهم والقبول فقال: "إذا تصدر عليه أن يكلم الناس كلام الناصح المشفق، ككلام الوالد لولده، فيحدثهم ويرشدهم إلى ما ينفعهم في الدين والدنيا. يكلمهم بنية صادقة ولا يكلم المريدين إلا وهو صاف القلب كما أنه يجب أن يعرفهم حق المعرفة وان يخاطبهم على قدر عقولهم وأن يكلفهم حسب قدراتهم" (المصدر السابق، ص243). ومن أدب الشيخ قال السهروردي: أن تكون له خلوة خاصة، يتفرد بها، ولا يعاني فيها الخلق ورأى أن الخلوة مهمة للشيخ، ورأى أن عدم لزومها قد يفسد على النفس رياضتها وضرب مثلا محذرا من الاسترسال في المخالطة، وبين أن الاسترسال فيها قد يبقي صاحبه في خطة القصور يوقع صاحبه في دائرة الفتور، ونبه على أن الشيخ يجدر به أن يستمر في الاستمداد من الله تعالى والتضرع بين يديه بقلبه، وأن يعود إليه في كل كلمة يقولها. (السهروردي 1999، ص 243). قال السهروردي ومن وظيفة الشيخ حسن خلقه مع أهل الإرادة والطلب، والنزول من حقه فيما يجب من التبجيل والتعظيم للمشائخ واستعماله التواضع (المصدر السابق، ص 244). قال زروق في قواعد التصوف: "لا يؤخذ هذا العلم من متكبر، ولا صاحب بدعة، ولامقلّد" قاعدة 30 (زروق 1968، ص 17). وبيّنوا في تنظيرهم أن الشيخ يجب أن يأخذ المريدين بالرفق، لا بالعلم، قالوا : لأن الرفق يؤنس المريد ، والعلم يوحشه، ثم إن الطريق

ISSN 2664-1682

لشريحة أوسع وطائفة من الناس عادة ما تكون أكبر فلم يُقصر على ذوي العقول والأذكياء من الناس؟ !. قالوا ومن أدب الشيوخ التعطف على الأصحاب، وقضاء حقوقهم في الصحة والمرض، ولا يترك حقوقهم اعتمادا على إرادتهم وصدقهم قال بعض مشائخ الصوفية : " لا تضيع حق أخيك بما بينك وبينه من المودة". ورأى السهروردي أن الشيوخ يجب أن يتمتعوا بسعة البال والخُلق، وأن يرفقوا بالمريدين وأن يأخذوا ضعاف النفوس بالرفق والتدريب ليصلوا بهم إلى أوطان العزيمة (السهروردي، ص246). ويتم ذلك بتوضيح الأخلاق الحسنة بتعريفها ووصفها، والتنبيه للقيّم الجميلة ومضامينها وأثارها ليراعي المريدين وجودها واعتبارها والالتزام بها، فقد جمع في كتاب خلوة العاكفين مفاهيم كثيرة منها: التوبة، والتقوى والخوف، والرجاء، الخشوع، المجاهدة الاستقامة، المراقبة، الخلوة والعزلة، الصمت والقناعة، الرضا والصبر، الجوع، التوكل الايثار، الصدق، العبودية، الحرية، الفتوة، المرؤة الاخلاص والمحبة، القرب، والأنس، وكان يذكر اقوالا وحكما وأشعارا تدعو المريدين لالتزامها وتربية النفس وتعويدها لتحصلها وتستمر عليها فتكون كالطبع فيها. وهكذا يتضح أن مدار أمرهم تدريب ورياضة (الطبري 2013، ص.ص 10–20). جاء في باب المجاهدة قال الكتاني: العاجز من عجز عن سياسة نفسه، وقال النصرباذي : من استعمل آداب ظواهر الشريعة، وراض نفسه بآداب المعاملات ورثه الله علما من عنده يربو على أهله زمانه (المصدر السابق 26). وقال: والاستقامة لا يطيقها إلا الأنبياء وأكابر الأولياء لأنها الخروج عن المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات. (المصدر السابق ص 27) . فاتضح أن هدفهم تربوي ومطلبهم الإصلاح وهدفهم مقام الوصول. كما أشاروا إلى بعض آداب الشيخ فقالوا : يجب على الشيخ أن يتنزه عن مال المريد وخدمته والارتفاق من جانبه بوجه من الوجوه . ومن وسائلهم التربوية ونصائحهم الرفق في التعليم، قالوا: "ومن يرى من المردين عوجا أو مكروها لا يجب أن ينصح به عيانا، بل عليه أن يعرض به تعريضا، فينتقد

ISSN 2664-1682

العمل أو الموقف أمام المريدين" (السهروردي 1999، ص240). يرون أن ذلك يعمم الفائدة، ويردع المخطئ،ولا يكون ذلك سببا في أن يهجر الطريقة. وهذه الطريقة أقرب للمدارة وأكثر أثرا لتأليف القلوب (المصدر السابق، ص 240). ومن رأى من الشيوخ تقصيرا في مهمة أسندها إلى أحد المريدين عليه ان يحتمل تقصير المريد ويعفو عنه ويحرضه على العمل والاجتهاد بالرفق واللين. ومن جملة ما ذكروا من آداب المؤدبين حفظ أسرار المريدين فلا يخبر ولا يفشي للمريدين أسرارا، فلا يخبر عما يتحقق لهم من كشوف أو يتحقق لهم في مناماتهم من رؤى. وبغية تحقيق أثر على النفوس وتوضيح العلل وضح الصوفيون أن عادة ضيق الصدر بالأسرار،وكشفها توجد عند ضعاف العقل والنساء، قال السهروردي هي صفة يجل حال الشيوخ عن إذاعة السر لرزانة عقولهم. (المصدر السابق، ص: 246). وقد وضحوا أن العلاقة بين الشيخ والمريد يجب أن تكون علاقة طريق لانسب، وعلاقة روح لا دم، كان الشيخ إبراهيم الدسوقي يكرر: "من لم يكن عفيفا، نظيفا، شريفا، فليس هو من أولادي، ولو كان ولدي لصلبي، ومن كان ملازما للطريقة، والديانة والصيانة، الزهد والورع،وقلة الطمع فهو ولدي وإن كان من أقصى البلاد" (الشعراني، 2000، ص 143). وقد كان بعض المشائخ يعتمدون القسوة وأن منهجهم: فقسا ليزدجروا .....يروى أن الشيخ عبد القاهر الجيلاني كان عنيفا في التربية، شديدا في اللفظ له جرأة على السامع،وأدرك هو في نفسه ذلك، قالوا فكان يقول: (عندي وقاحة ترجع إلى دين الله عز وجل، قد رُبيت بيد خشنة، غير منافقة) (الجيلاني ، 2008، ص 26). قالوا وهو لا يرضى من الواعظ أن يضحك أو أن يمازح من يعظهم وقد نقلوا قوله يحذر الواعظين من التهاون وعدم الحزم: (ويحك تقعد هذا المقام تعظ الناس ثم تضحك بينهم،وتحكي حكايات مضحكة، لاجرم لاتفلح ولايفلحون، الواعظ معلم ومؤدب

ISSN 2664-1682

والسامعون كالصبيان والصبي لا يتعلم إلا بالخشونة ولزوم الحزم والعبوس؛ وآحاد أفراد منهم يتعلمون بغير ذلك هداية من الله عز وجل) (المصدر السابق، ص 236).

4. الخاتمة

للصوفيين هدف هو الإصلاح، وهو هدف الأنبياء والعارفين أيضا، فالعلماء بصريح الحديث هم ورثة الأنبياء، والإصلاح هدف منشود له طريقه التي توصل إليه، ووسائله التي يتوسل بها لحصوله، فكان في بعض ماذكرنا بعض من الأدوات التي استخدمها الشيوخ المنتمين لظاهرة الصوفية لتربية المريدين. و مما لاحظنا على التربية عندهم أنها تهتم بالهدف والتركيز على حضوره في ذهن المعلم والمريد، ولهذا يمكننا القول إنها تربية واعية بالمنهج، وأثاره وتقصد الآخذ بيد المريد بالتدرج. وبهذا الذي عرضنا يتبين لنا أن الصوفي صاحب رسالة إنسانية،وصاحب منهج أخلاقي له علاقة بالسلوك وله أهداف، يأتي في مقدمتها الإصلاح، الذي يربط السلوك بالعمل، كما يربط العمل بالنتيجة. يهدف إلى التوعية وجعل السلوك الإنساني قائما على أساس اختيار يقظ واع، ولا تجعله سلوكا اتباعيا تقليديا رتيبا دون معنى. و لاحظنا في التربية الصوفية أن المريد الفرد مسئول على أعماله، ونبهته التربية إلى العقيدة وضرورة أن تكون مغروسة في النفس والوجدان توجه السلوك وتحكم كل تصرف. ووضحنا من خلال البحث أن الصوفي عرف أن للنفس أمراضا جبلت عليها إن لم تعالج أفسدت على الإنسان حياته وشوهت صورته وأفسدت آخرته فالصوفي مربي يسعى لإخراج النفس من طبيعتها الحيوانية راقيا بها نحو السمو.

بيّنا أن الصوفي عرف أن الإنسان يؤثر ويتأثر، فعملت الصوفية على صيانة قابلية التأثير لديه، وذلك من أجل أن لا يصبح مجالا لكل ما لا يناسب الفطرة والحق والعدل، أحيت في الإنسان الوعي لكي لا يكون ضحية الملذات والشهوات.

ISSN 2664-1682

لاشك أن الصوفيين قد استخدموا مناهج ولهم تعابيرهم الخاصة التي يعرفها من عرفهم وله من الذوق مثل ذوقهم، هدفهم منها ومقصودهم السمو بالنفس و تصفية القلب وقلع هوى النفس من أصلها بالخلوة والرياضة والصمت وملازمة الذكر والإخلاص في العبادة والتوبة والاعتقاد الصحيح السني تبعا لأثار السلف الصلحاء من الصحابة رضي الله عنهم .وهذه المناهج التي تتبع بقصد وتوظف بوعي ستكون موضوع الجزء االثالث من هذا البحث . وأقول في هذه الاستراحة التي تفصل بين إتمام بحث والشروع في آخر، إن في الإسلام كنوزا ينبغي أن تستغل وطاقات روحية ينبغي أن تستثمر،وضياعها ضياع لعناصر هامة في الدعوة وقصور في كمال الإسلام،ونقص في تصوره وشموله. إن التربية الروحية لها دور في تكوين الشباب إذا حاصرتهم الشهوات وأحاطت بهم المغيرات ولاحقتهم الفتن وما أكثرها في وقتنا اليوم فلا يجب أن نترك ما كتبة أهل التصوف من أجل أن فرقة اندست بينهم فعبرت بعبارات مشبوهة لم نفهمها، أو من أجل أن مجموعة مارست سلوكا شاذا أو جماعة فهمت الدين فهما سطحيا، أو نتركه لأن الاوروبيين ومن على شاكلتهم اهتم به وأولاه اهتماما أوسع وبحثا أكبر وأعمق ، وما علينا إلا أن نعيد قراءة ماكتبوا نستفيد منه في إحياء النفوس وإحياء القيم الرائعة التي من شأنها أن تحي كل جميل وسام ، كل ذلك من أجل بناء جيل خلوق يتمتع بكل ماهو راق من الخصال كالأمانة، و الفتوة، والإخلاص، والمراقبة، والمشاهدة، والمعرفة،والولاية من أجل الإصلاح، وهذه لبنة صغيرة ومساهمة نأمل أن تشفع بدراسات أعمق وأوسع.

ISSN 2664-1682

المراجع

الأبشيهي، محمد بن محمد الحجازي (2015) *حقائق أنفاس العارفين الخواص*. تحقيق أحمد فريد. كتاب ناشرون .

بدوي، عبد الرحمن (1975). *تاريخ التصوف الاسلامي*. وكالة المطبوعات: الكويت .

البيتماني، حسين بن طعمة (2015). *الفتوحات الربانية في شرح التدبيرات الإلهية في إصلاح الملكة الإنسانية للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي*. تحقيق عصام الكيّالي: بيروت.

الترمذي، أبو عبد الله محمد (2002). *منازل القربة*. تحقيق خالد زهري. كلية الآداب بالرباط.

الجيلاني، عبد القادر (2008). *سر الاسرار ومظهر الأنوار*. تحيق عبد الرحيم السائح. مكتبة الثقافة الدينية.

حنفي، حسن (2009). *من الفناء إلى البقاء*. دار المدار الاسلامي: بيروت.

زروق، أبو العباس بن أحمد، (1968). *قواعد التصوف*. دار مطبعة النهضة الجديدة: القاهرة.

ست عجم، بنت النفيس (2004). *شرح المشاهد القدسية*. تحقيق بكر علاء الدين و سعاد الحكيم: دمشق.

السهراوردي، شهاب الدين، (1990). *عوارف المعارف*. دار الكتب العلمية: لبنان.

شعبان، عبد الحكيم محمد (2015). *التصوف الاسلامي: مدارسه رموزه وأدبه*. مؤسسة الوراق: الأردن .

الشعراني، عبد الوهاب (2000). *الأنوار القدسية في بيان قواعد التصوف*. دار صادر بيروت تحقيق لجنة التراث في الدار،.

ISSN 2664-1682

الشعراني، عبد الوهاب (2007). *اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر*. دار الكتب العلمية: لبنان .

الشعراني، عبد الوهاب (2011). *الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر*. دار الآفاق العربية: القاهرة .

الطبري، أبو خلف الطبري (2013). *خلوة العاكفين: منتخب من سلوة العارفين*، دار المشرق .

الطوسي، عبد الله بن علي أبو نصر (2002). اللمع في تاريخ التصوف الاسلامي. دار الكتب العلمية: لبنان.

عبد الحليم، محمود، (1967). *المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي*. دار الكتب الحديثة القاهرة .

الغزالي، أبو حامد (1963). *الأربعين في أصول الدين*،. تعليق: الشيخ محمد محمد جابر. مكتبة الجندي : القاهرة.

الغزالي، أبو حامد (2011). *سلوة العارفين*. تحقيق السيد يوسف أحمد. دار الكتب العلمية: لبنان .

القشيري، عبد الكريم بن هوازن (1987). *الرسالة القشيرية في علم التصوف*. دار أسامة: بيروت .

الكاشاني، عبد الرزاق، (1971). *اصطلاحات الصوفية*، كتابخانة ملى إيران

كيشانة، حمود (2017). *فلسفة الأخلاق عند إخوان الصفا*. دار ابن النديم للنشر.

محمد، مصطفى حلمي (2011). *الحياة الروحية في الإسلام*. دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري .

ISSN 2664-1682

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة (2010). *العقيدة الإسلامية*. ط 15. دار القلم دمشق.

ناجي، حسين جودة (2006). *التصوف عند فلاسفة المغرب،ابن خلدون نموذجا*. دار الهادي: لبنان .

النفري، محمد بن عبد الجبار (1934). *كتاب المواقف والخاطبات*. مطبعة دار الكتب المصرية.

اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد (2000). *نشر المحاسن الغالية في فضل المشائخ الصوفية، أصحاب المقامات العالية*. دار الكتب العلمية : لبنان.

ISSN 2664-1682